من فضائل شهر رمضان

كتبه

أبو عبد الله

وائل بن علي بن أحمد آل عبد الجليل الأثري

من فضائل شهر رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً وبعد:

فشهر رمضان هو أحد شهور السنة الهجرية، وهو الشهر التاسع منها، قد فرض الله علينا صيامه فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

وفي الحديث المتفق عليه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان"[2].

<u>وهذا الشهر له فضائل عديدة في الشريعة الإسلامية، ولعل من أهمها ما يلي:</u>

<u>الفضل الأول</u>: أنه نزل فيه القرآن، كما قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾[3] وهذا يدل على شرفه ومترلته على سائر الشهور، لذلك قال بعض أهل العلم: القرآن الكريم هو أفضل الكتب، نزل على أفضل الرسل وهو محمد -صلى الله عليه وسلم-، في أفضل الشهور وهو شهر رمضان.

[1] - (سورة البقرة آية : ١٨٣) .

[2] - متفق عليه : البخاري (٨) ومسلم (١٩) .

[3] - (سورة البقرة آية : ١٨٥) .

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: (يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور، بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم فيه، وكما اختصه بذلك، قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء.

قال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا عمران أبو العوام، عن قتادة، عن أبي المليح، عن واثلة -يعني ابن الأسقع- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لستٍّ مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان[٤]، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان"[٥].)[٦]اهـ

قال الشيخ السعدي -رحمه الله- في تفسيره: (﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ أي: الصوم المفروض عليكم هو شهر رمضان الشهر العظيم الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم المشتمل على الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية وتبيين الحق بأوضح بيان، والفرقان بين الحق والباطل والهدى والضلال وأهل السعادة وأهل الشقاوة، فحقيق بشهر هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه، أن يكون موسماً للعباد مفروضاً فيه الصيام.)[٧]اهـ

4 - قال محقق كتاب التفسير لابن كثير: (في (أ) بعدها: "وأنزل الزبور لثماني عشرة خلت من رمضان")اهـ

قلت: هذه الزيادة ليست في رواية أحمد؛ وإنما صحت عند غيره فقد رواها ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٩) والطبراني في الكبير (١٨٥) وفي الأوسط (٣٧٤٠) والبيهقي في الكبرى (١٨٤٢٩- ١٩١٢١)، وهذا هو الصواب والله أعلم.

5 - صحيح: رواه أحمد (١٧٠٢٥) وغيره، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٩٧) والصحيحة (١٥٧٥) وفيه : "وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان".

6 - تفسير ابن كثير (١/ ٥٠١) طبعة دار طيبة.

7 - تفسير السعدي (ص: ٨٤) طبعة دار ابن الجوزي.

الفضل الثاني: أن فيه ليلة القدر، وأن العمل الصالح فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٨].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"[٩].

الفضل الثالث: أنه يغفر لمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً، ويدل على ذلك عدة أحاديث:

الأول: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"[١٠].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (والمراد بالإيمان الاعتقاد بحق فرضية صومه، وبالاحتساب طلب الثواب من الله تعالى، وقال الخطابي: احتساباً أي عزيمة، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه طيبة نفسه بذلك غير مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه.)[١١]اهـ

والثاني: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"[١٢].

قال الحافظ في الفتح: (قوله (إيماناً) أي تصديقاً بوعد الله بالثواب عليه (واحتساباً) أي طلباً للأجر لا لقصد آخر من رياء أو نحوه. قوله (غفر له) ظاهره يتناول الصغائر والكبائر، وبه جزم ابن المنذر. وقال النووي: المعروف أنه يختص بالصغائر، وبه جزم

8 - (سورة القدر آية: ١ - ٣).
9 - متفق عليه: البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).
10 - متفق عليه: البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠).
11 - الفتح (٤/ ١١٥) طبعة دار الفكر.
12 - متفق عليه: البخاري (٢٠٠٩)، ومسلم (٧٥٩).

إمام الحرمين وعزاه عياض لأهل السنة، قال بعضهم: ويجوز أن يخفف من الكبائر إذا لم يصادف صغيرة.)[١٣]اهـ

الثالث: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر" وفي لفظ "ما لم تغش الكبائر"[١٤].

ولعل هذا الحديث يوضح أن المراد بالمغفرة في الحديثين السابقين مغفرة الصغائر دون الكبائر، ويجوز أن يخفف من الكبائر إذا لم يصادف صغيرة، والله أعلم.

الفضل الرابع: أنه تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتصفد الشياطين، والدليل على هذا ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وسلست الشياطين"[١٥]، وفي لفظ لمسلم "وصفدت الشياطين"[١٦].

قال الحافظ في الفتح: (وقوله (صفدت) بالمهملة المضمومة بعدها فاء ثقيلة مكسورة أي شدت بالأصفاد وهي الأغلال، وهو بمعنى سلسلت)[١٧]اهـ

فإن قال قائل: كيف يكون ذلك ونجد الشرور في رمضان؟

فالجواب من وجوه[١٨]:

---

13 - الفتح (٤ / ٢٥١) طبعة دار الفكر .

14 - صحيح : رواه مسلم (٢٣٣) .

15 - متفق عليه : البخاري (١٨٩٨ - ١٨٩٩) ، ومسلم (١٠٧٩) .

16 - صحيح : رواه مسلم (١٠٧٩)

17 - الفتح (٤ / ١١٤) طبعة دار الفكر .

18 - قال الحافظ في الفتح (٤/ ١١٤ - ١١٥): (وقال القرطبي بعد أن رجح حمله على ظاهره فإن قيل كيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيراً فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك؟ فالجواب: أنها إنما تقل عن الصائمين الصوم الذي حوفظ على شروطه وروعيت آدابه، أو المصفد بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم كما تقدم في بعض الروايات، أو المقصود تقليل الشرور فيه

١ - إن هذا يقال فيمن حافظ على صومه بشروطه وراعى آدابه وأحكامه .
٢ - أن المراد بذلك مردة الجن، كما ورد ذلك في رواية الترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وغيرهم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار"[١٩].
قال الشيخ الألباني -رحمه الله- في المشكاة: (وقال ابن خزيمة: "الشياطين مردة الجن" بغير واو.)[٢٠]اهـ
قلت: فهي بالواو تكون من باب عطف الخاص على العام، وبغير واو تكون تفسيراً لها. □
٣ - إن المراد بذلك تقليل الشرور في شهر رمضان، لأن هناك النفوس الخبيثة وشياطين الإنس التي توقع في الأرض الفساد بين العباد، والله أعلم.
الفضل الخامس: أن أداء العمرة في شهر رمضان يعدل ثواب حجة، وذلك لما جاء في الحديث المتفق عليه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عمرة فيه تعدل حجة»[٢١] وفي لفظ «حجة معي»[٢٢].

وهذا أمر محسوس فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره، إذ لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شر ولا معصية لأن لذلك أسباباً غير الشياطين كالنفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الإنسية. وقال غيره في تصفيد الشياطين في رمضان إشارة إلى رفع عذر المكلف كأنه يقال له قد كفت الشياطين عنك فلا تعتل بهم في ترك الطاعة ولا فعل المعصية)اهـ

[19] - صحيح: رواه الترمذي (٦٨٢) وابن ماجه (١٦٤٢) وابن خزيمة (١٨٨٣) وابن حبان (٣٤٣٥) والحاكم (١٥٣٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة. وصححه الألباني في تحقيقه على الترمذي وابن ماجه، وحسنه في تعليقه على ابن خزيمة وصحيح الجامع (٧٥٩).

[20] - انظر المشكاة (٩٩٨).

ولا شك أن هذا فضل عظيم من الله تبارك وتعالى على عباده المؤمنين، وقد قرر أهل العلم أن المراد بهذا الحديث أنها تعدل حجة في الثواب؛ لا أن أداء العمرة في رمضان يسقط فريضة الحج على من لم يحج.

قال الحافظ ابن حجر: (فالحاصل أنه أعلمها أن العمرة في رمضان تعدل الحجة في الثواب لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض للإجماع على أن الاعتمار لا يجزئ عن حج الفرض. ونقل الترمذي عن إسحاق بن راهويه أن معنى الحديث نظير ما جاء أن (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) تعدل ثلث القرآن، وقال ابن العربي: حديث العمرة هذا صحيح، وهو فضل من الله ونعمة فقد أدركت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها، وقال ابن الجوزي: فيه أن ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت كما يزيد بحضور القلب وبخلوص القصد.)[٢٣]اهـ

الفضل السادس: أن من صلى مع الإمام حتى ينصرف من صلاة القيام كتب له أجر قيام ليلة كاملة، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما بسند صحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : "من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة"[٢٤].

فحري بالمسلم أن يحافظ على الصلاة في جماعة مع الإمام حتى ينصرف ، ولا يتعجل فينصرف فيحرم الأجر العظيم على العمل القليل .

---

21 - متفق عليه: رواه البخاري (١٧٨٢) ومسلم (١٢٥٦) واللفظ له.

22 - رواه البخاري (١٨٦٣) ومسلم (١٢٥٦).

23 - فتح الباري (٣/٦٠٤-٦٠٥).

24 - صحيح: رواه عبد الرزاق (٧٧٠٦) وابن أبي شيبة (٧٧٦٩) وأحمد (٢١٤٥٧) وأبو داود (١٣٧٥) والترمذي (٨٠٦) والنسائي (١٣٦٤) وفي الكبرى (١٣٠٠) وابن ماجه (١٣٢٧) والدارمي (١٧٧٧) وابن الجارود (٤٠٣) وابن خزيمة (٢٢٠٦) وابن حبان (٢٥٤٧) والبيهقي في الكبرى (٤٢٨١) وفي معرفة السنن والآثار (٥٣٩٩) والبغوي في شرح السنة (٩٩١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦١٥، ٢٤١٧) والإرواء (٤٤٧) والمشكاة (١٢٩٨).

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في الشرح الممتع: (وفي هذا إشارة إلى أن الأَولى الاقتصار على الصلاة مع الإمام؛ لأنه لم يرشدهم إلى أن يدعوا الوتر مع الإمام، ويصلُّوا بعده في آخر الليل؛ وذلك لأنه يحصل له قيام الليل كأنه قامه فعلاً، فيكتب له أجر العمل مع راحته، وهذه نعمة)[٢٥]اهـ

الفضل السابع والثامن: أنه شهر العتق من النار، وأن دعاء المسلم فيه يستجاب، والدليل على هذا ما رواه الإمام أحمد وغيره بسند صحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن لله في كل يوم وليلة عتقاء من النار في شهر رمضان، وإن لكل مسلم دعوة يدعو بها فيستجاب له"[٢٦].

وعند الترمذي وغيره بسند صحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة"[٢٧].

وعند البيهقي بسند صحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم ودعوة المظلوم ودعوة المسافر"[٢٨].

تنبيه هام:

---

25 - الشرح الممتع (٤/ ٦٥) طبعة دار ابن الجوزي.

26 - صحيح: رواه أحمد (٧٤٤٣) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٢١٥): (رواه البزار ورجاله ثقات)اهـ

قلت: لم أجده في نسخة مسند البزار بعد بحث كبير فيه، وقد وجدته في كتاب (كشف الأستار عن زوائد البزار) للهيثمي برقم (٣١٤٢). ورواه ابن شاهين في فضائل شهر رمضان (١٠). ورواه الطبراني في الأوسط (٦٤٠١) وأبو نعيم في الحلية (٣٠٦/٨) بدون لفظ (في رمضان).

27 - صحيح: تقدم تخريجه برقم (١٩).

28 - صحيح: رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٣٢٣) وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣٠) والصحيحة (١٧٩٧).

ينتشر على ألسنة كثير من الناس حديث: "شهر رمضان أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار"[٢٩] وهذا حديث (منكر) لا يصح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فينبغي الحذر من هذه الأحاديث الضعيفة، والأخذ بالأحاديث الثابتة الصحيحة ففيها الغنية عن الأخذ والعمل بالأحاديث الضعيفة التي أفسدت على كثير من الناس عقائدهم وعباداتهم.

والصواب كما قدمت الأدلة آنفاً أن شهر رمضان كله رحمة، وكله مغفرة، وكله عتق من النار، فهنيئاً لعبد؛ رحمه الله وغفر له وأعتقه من النار في هذا الشهر، فما أسعده من عبد! ويا لتعاسة عبد أدرك رمضان فخرج منه وقد حرم هذه الفضائل العظيمة، فلا شك أنه مغبون خاسر، نسأل الله السلامة والعافية.

وختاماً: فجدير بكل مسلم وحري به في شهر هذا فضله عند الله تبارك وتعالى أن يغتنمه المسلم في طاعة الله ويتوب إلى الله تعالى ويتقيه حق تقاته، ويقبل على الطاعات بحب دون ضجر، محتسباً على ذلك الأجر من الله تعالى، وأن يحافظ على أداء الواجبات والسنن، ويبتعد عن جميع البدع وأهلها، وعن جميع المعاصي والذنوب، حتى يحقق الصوم المطلوب ويجني الثمرة المرجوة منه التي من أجلها فرض الله تبارك وتعالى الصوم وهي زيادة التقوى كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من لم يدع قول

---

29 - منكر: انظر ضعيف الترغيب والترهيب للشيخ الألباني (٥٨٩) وقد ضعفه كذلك في المشكاة (١٩٦٥).

الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"[٣٠]، وقال أيضاً: "رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، ورُبَّ قائم ليس له من قيامه إلا السهر"[٣١].

قال الحافظ ابن رجب: (رُبَّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، وقائم حظه من قيامه السهر، كل قيام لا ينهى عن الفحشاء والمنكر لا يزيد صاحبه إلا بعداً، وكل صيام لا يصان عن قول الزور والعمل به لا يورث صاحبه إلا مقتاً ورداً، يا قوم أين آثار الصيام؟ أين أنوار القيام؟

إن كنت تنوح يا حمام البان ... للبين فأين شاهد الأحزان
أجفانك للدموع أم أجفاني ... لا يقبل مدع بلا برهان

هذا عباد الله (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) وفي بقيته للعابدين مستمتع، وهذا كتاب الله يتلى فيه بين أظهركم ويسمع، وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعا يتصدع، ومع هذا فلا قلب يخشع، ولا عين تدمع، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع! ولا قيام استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع! قلوب خلت من التقوى فهي خراب بلقع، وتراكمت عليها ظلمة الذنوب فهي لا تبصر ولا تسمع، كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة، وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا فيه كحال أهل الشقوة؛ لا الشاب منا ينتهي عن الصبوة، ولا الشيخ يترجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة، أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة، وإذا تليت عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلوة، وإذا صاموا صامت منه الألسنة والأسماع والأبصار، أفما لنا فيهم أسوة؟! كما بيننا وبين حال الصفا أبعد مما بيننا وبين الصفا

30 - صحيح: رواه البخاري (١٩٠٣).

31 - صحيح: رواه ابن المبارك في مسنده (٧٥) والنسائي في السنن الكبرى (٣٢٣٦) وابن ماجه (١٦٩٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٨٨) وقال في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٨٣): حسن صحيح.

والمروة، كلما حسنت منا الأقوال ساءت الأعمال، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلـــي العظيم وحسبنا الله.)[٣٢]اهـــ

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانـــا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

وكتبه

أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد آل عبد الجليل الأثري

الأربعاء: غرة رمضان/ ١٤٣١هـــ

alsalafy1433@hotmail.com

32 - لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٩٩-٣٠٠) طبعة المكتبة التوفيقية.